مقياس العلاج النسقي للسنة الثالثة علم النفس عيادي

المحاضرة الأولى :

**تاريخ ظهور المقاربة النسقية و العلاجات النسقية:**

ظهرت المقاربة النسقية الأسرية في سنوات الخمسينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، و هي تشكل أكبر ثاني قطب في العلاجات النفسية، بعد التحليل النفسي الفردي.

تعتبر هذه المقاربة وليدة الالتقاء بين العديد من الميادين: التحليل النفسي (Freud) ،

والأنثربولوجيا( خاصة التيار الثقافي Bateson et Sullivan (و علم الإجتماع، و علم دراسة

الحيوان éthologie ، و البيولوجيا، و الفيزيولوجيا، و الضد سيكاترية و أيضا السبرانية

أي علم الضبط (cybernétique) ، و نظرية الأنساق Bertalanffy و نظرية الاتصال ل

Watzlawickو ديناميكية الجماعة ل Lewin.

**مدرسة بالو ألطو مبادئها و نظرية الرباط المزدوج :**

قام مجموعة من الجامعيين )ذوي آفاق مختلفة( اللاجئين في الولايات المتحدة الأمريكية جراء

الحرب العالمية الثانية، بتأسيس مدرسة Palo Alto ذات الأصل في المقاربة النسقية.

و يعتبر Bateson Gregory و هو عالم بيولوجي و أنثروبولوجي على أنه أب هذه المدرسة

ففي كتابه (La cérémonie du naven) عرض فكرة أن سلوك الفرد لا ينحدر

فقط عن السياقات الضمن نفسية مثلما وصفه Freud ، و إنما أيضا عن علاقة هذا الفرد مع

محيطه ، فلقد أدّت المجموعة الأولى Palo Alto ( 1952 **-** 1962 مع Bateson, Haley, Weakland, Fry, Jackson دورا محددا في ظهور المقاربة النسقية.

إذا كان من المتفق عليه أنّ أب العلاجات الأسرية هو (N. Ackerman) ، فإن تطور

هذه العلاجات هو في علاقة وطيدة مع مفهوم العلاجات الأسرية النسقية التي يرجع أصلها

إلى أعمال مدرسة بالو ألطو، علما أن بالو ألطو هي مدينة صغيرة تقع في ضواحي سان

فرا نسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية.

و في نفس الفترة التي ظهرت فيها مدرسو بالو ألطو قام W. MacCulloch بنشر

كتاب عن (Les proprités des systèmes cybernétiques) أين وصف بقاء الأنساق في

حالة توازن عن طريق التغذية الرجعية (feed-back) الإيجابية أو السلبية، كما نشر G. Bateson مع J. Ruesch في ) 1955 ( كتاب مشترك تحت عنوان )التواصل والمجتمع(،والذي وضعا

من خلاله القواعد الأساسية للمقاربة السبرانية و للتواصل.

قام بعد ذلك G. Bateson مع كلا من J. Haley و W. Fry بدراسة سلوكات

وتواصل العديد من أنواع الحيوانات و المرضى العقليين مثل الفصاميين. كما كانت لهذه

المجموعة علاقة وطيدة مع الطبيب العقلي M.H. Erickson ، الذي أثرى هذا التيار

العلاجي بالعديد من التقنيات، فقد اهتم كلا من Haley و Weakland بأعمال Erickson ،

من حيث مختلف مستويات التبادل التي تدور بين المنوم المغناطيسي و المفحوص، فقد كان

هذا اللّقاء ذو أهمية كبيرة في التوّجه الذي سلكته مدرسة Palo Alto بعد ذلك، بالإضافة إلى

النظرة التفاعلية، التي تعتبر ثورة مفاهيمية في الطب العقلي.

قام (Haley) بمحاولة تشفير (décoder) لإستراتيجيات (Erickson) فقسّم جميع

الحالات التي عالجها هذا الأخير انطلاقا من دورات الحياة كالطفولة و المراهقة و الزواج

والعمل و تربية الأطفال و مغادرة الأطفال للبيت، إلخ، و ذلك اقتناعا منه بأن الأعراض

مهما كانت إنما هي تشير إلى صعوبة في التكيف مع سياقات حياتية في تغيّر.

يعتبر (Erickson) أنه أكثر من تأثير التقنية فإن العلاقة العلاجية هي التي تعالج،

فالتقنية هي في خدمة العلاقة و ليس العكس.

و قد أدّت أعمال هذه المجموعة من خلال دراسة "التناقضات التجريدية للتواصل"

و"الخلط في النماذج المنطقية " إلى تحضير ظهور معهد الأبحاث العقلية (MRI) Mental Research Institute .

**معهد الأبحاث العقلية:**

كما تم تأسيس معهد الأبحاث العقلية( (Mental Research Institute) لِ )بالو ألطو(

في 1958 ) و ذلك بالموا زاة مع أعمال Bateson (، من طرفD et Jules Ruskin) Jackson, Virginia Satir حيث تم نشر العديد من الكتب المكرسة للتواصل. فقد قاموا

بتحديد أساس المعارف الحالية )أنذاك( في هذا المجال، كما ظهرت اسماء لامعة مثل Paul Watzlawick و John Weakland ، إلخ.

حيث قام (D Jackson) و هو طبيب عقلي و محلل نفساني بتطبيق النظرية السبرانية

على أحد أقدم الأنساق الانسانية و هي الأسرة، إذ يقول "ليس أن الأسرة في اختلال توازن

جراء هذا الفرد المريض، بل أن توازنها يتوقف على مرض هذا الأخير، و هي تعمل على

ابقاءه على هذا النحو". أي أن العرض هو الذي يسمح بتوازن (homéostasie) الأسرة. وهو

منطلق العلاجات الأسرية النسقية.

القواعد التي تقوم عليها العلاقة هي ليست ثابتة، و إنما هناك تكيّف مستمر و متبادل سواءً

كان شعوريا أو لا. فهي عبارة عن سياقات للتغذية الرجعية، فكل ما هو حي يتكيّف و كل

ما لا يتكيّف يموت، و هو صحيح سواءً تعلق الأمر بما هو بيولوجي أو بالعلائقي.

كما عملت فرق الطب العقلي انطلاقا من سنوات الستين على تطوير تطبيقات

عملية للمقاربة النسقية من أجل الأسر التي لديها عضو فصامي. و لقد شمل تأثيرها مجمل

أمريكا الشمالية و أوروبا. و قام باحثوا )معهد الأبحاث العقلية( بتركيز جهودهم على

تطبيق هذه الأفكار الجديدة في التخفيف من الألم النفسي، و أصبح السؤال الأساسي هو:

كيف يمكن تغيير قواعد النسق الأسري من أجل إ ا زلة العرض الذي يحمله أحد أف ا رد الأسرة؟

و هنا تركت النظرية العامة للأنساق المكان لتقنيات التغيير أي التقنيات العلاجية.

و حدّدت د ا رسة التواصل داخل الأسرة دور مفاهيم مثل مفهوم القواعد و المعايير

والعلاقات المتماثلة (symétriques) والعلاقات المتكاملة. وفي 1967 نشر Watzlawick et

al كتاب (Une logique de la communication) الذي يعرض دور التواصل في العلاقات

البينشخصية، و تم تقديم الأسرة على أنها نسق مفتوح، إذ يرى الباحثون أن الطريقة الوحيدة

لفهم الأسرة هو اعتبارها كذلك )أي نسق مفتوح(.

و مع ظهور هذه المقاربة الجديدة، لم يصبح موضوع العلاجات هو من يحمل

العرض، و إنما مجمل نسق علاقات الخلية الأسرية، فلم يصبح الاهتمام منصبا عن البحث

على أسباب الصعوبات الماضية " للمريض المعيّن" و إنما تغيّر البنية العلائقية للنسق

الأسري، بغض النظر عن أصل المشكل. ذلك أنه من خلال أعمال )معهد الأبحاث العقلية(

ظهرت الفكرة الرئيسية في العلاجات الأسرية النسقية و التي مفادها أن الفرد المريض داخل

الأسرة ما هو إلاّ ضحية للنسق الأسري المريض.

يمكن أن نقول إذن أن مدرسة بالو ألطو قد تكونت من فريقين مهمين، الفرقة الأولى

بزعامة Bateson نحو 1950 و التي ضمّت Don Jackson و J. H. Weakland و J. Haley ، أمّا المجموعة الثانية فتكونت في 1958 مع Don Jackson حيث ضمّت

الأسماء التالية: V. Satir و P. Watzlawick و انضم إليهم لاحقا كلا من J. Haley و J. H. Weakland في 1962 . و على هذا الأساس يعتبر Bateson و Jackson

على أنهما الشخصيتين المركزيتين في مدرسة بالو ألطو، فقد عمل كلاهما على نسج و بناء

الإطار الذي تطورت فيه النظريات و التطبيقات العيادية اللاحقة.